المحاضرة الثانية:

الجزيرة العربية قبيل الإسلام

أولا: أصل العرب: تحتل جزيرة العرب موقعا جغرافيا هاما، فقد توسطت القارات المعروفة في العالم القديم، وهي تلتقى بهم برًا وبحرًا، فمن ناحيتها الشمالية الغربية باب للدخول في قارة إفريقية، ومن ناحيتها الشمالية الشرقية هي مفتاح لقارة أوربا، ومن الناحية الشرقية تفتح أبواب العجم؛ ومن ثمّ آسيا الوسطى وجنوبها والشرق البعيد. ولأجل هذا الوضع الجغرافي كان شمال الجزيرة وجنوبها موئلًا للأمم، ومركزًا لتبادل التجارة، والثقافة، والديانة، والفنون.

وتنسب الجزيرة العربية للعرب، وهم السكان الذين سكنوها قديما، وهم بحسب السلالات التي ينحدرون منها ثلاثة أقسام:

1 . العرب البائدة: وهم العرب القدامى كعاد، وثمود، وجُرْهُم، وحَضْرَمَوت..

2 . العرب العاربة: وهم العرب المنحدرة من صلب يَعْرُب بن يَشْجُب بن قَحْطان، وتسمى بالعرب القحطانية.

3 . العرب المستعربة: وهي العرب المنحدرة من صلب إسماعيل عليه السلام، وتسمى بالعرب العدنانية.

ثانيا: صور من المجتمع العربي الجاهلي:

1. **الحالة الاجتماعية:** العرب في شبه الجزيرة العربية بدو وحضر.

فأما **البدو**: فينتشرون في الصحراء عموما وليس لهم مقام، وإنما يتبعون مصادر الكلأ والماء. اتصفوا بالغلظة والشدة والقسوة.. ساعدت عليها الطبيعة القاسية والمعيشة الضنكى والاستعداد الدائم للغزو.. سُمُّوا بالأعراب لانتشار الفسق والكفر فيهم ولذلك ذمّهم القرآن كثيرا.

أما **الحضر**: فهم الذين استقروا في قرى أو مدن، فهم ألين معيشة وألطف أخلاقا، وهم على شيء من الحضارة والتنظيم.

يقوم المجتمع الجاهلي على النظام الطبقي المتكون من:

- طبقة الأحرار: وهم أبناء القبيلة الذين تربطهم رابطة الدم.
- طبقة الموالي: وهم الذين انظموا الى قبيلة بطريق الحِلف أو الجِوار أو العِتق.
- طبقة الرقيق (أو العبيد): هم المجلوبون الى قبيلة سَبْياً[1] أو شراء.

- **المرأة في الجاهلية:** اعتز العرب بالنساء وبلغوا بهن مكانا مرموقا، ولكن البعض منهم نزل بالمرأة الى الدرك الأسفل واعتبرها نذير شؤم واسود وجهه بمجرد أن يبشر بها عند الولادة، وربما دفنها وهي حية، مخافة جلب العار إذا كبرت نتيجة السبيّ أو الوقوع في الفاحشة.
- تميز الرجل العربي الجاهلي بحبّ التسلط في بيته فلم يكن له حد في عدد النسوة اللائي يتزوج بهن، وكان يطلّق لأتفه الأسباب، كما لم يكن للمرأة حق في الميراث.

[1] **السَّبْيُ**: هو الْأَسْرُ وَالِاسْتِرْقَاقُ، وهو خاص بالنساء.

- **من سيمات العرب: العصبية:** وهي الحمية سواء كانت من فرد للجماعة أو العكس، وقد تكون عصبية بالولاء أو عصبية بالجوار. قال شاعرهم: وما أنا إلا من غَزِّية[1] إن غَوَتْ[2] ** غويت، وإن ترشد غزية أرشد

ومن سيماتهم أيضا: الصعلكة: وهي أن تطرد قبيلة فردا أو جماعة خارج المجتمع، وقد يكثر هؤلاء المفصولون فيشكلون عصابات وقطّاع طرق.

- **من مميزات العرب:** نقاء عرضهم وصفاء نسلهم لانعزالهم في جزيرة العرب، وهذا ما انعكس على فصاحة لسانهم وبلاغته.. كما عُرف العرب –خصوصا الرجال منهم– بالعزة والأنفة والنخوة، وضُرب بهم المثل في العفة والكرم والوفاء ..

قال عنترة بن شداد: وأغضُّ طرفي إن بدت لي جارتي ** حتى يواري جارتي مأواها

2. الحالة الدينية: تعتبر مكة أول بلد أقيم به بيت للعبادة، وبطول الأمد وصل الانحراف الى قلوب الموحدين وانتشر الشرك بأنواعه، وممن ساعد في ذلك رجل اسمه "عمرو بن عامر الخزاعي"[3] الذي جاء بهبل من أحد القبائل وأدخله مكة.

وقد كان بجزيرة العرب معتقدات وتيارات كثيرة منها:

- **الحنفاء (أو الحنفيون)**[4]: وهم الذين استمسكوا بما تركه ابراهيم عليه السلام فهم يؤمنون بالله وبالبعث، ويعرفون الخلق الطيب الكريم، وكانوا يعظمون البيت ويطوفون به، ويحجُّون فيقفون بعرفة ومزدلفة، ويذبحون الهدي.. وكانت قريش تصوم يوم عاشوراء[5]. ومن هؤلاء الحنفاء: قس بن ساعدة، وزيد بن عمر بن نفيل الذي كان لا يأكل ذبائح قريش لأنها لم يذكر عليها اسم الله تعالى.

- **الأحماس (الحُمس):** وهو التحمس والتشدد في الدين، وقد أطلق على أناس زعموا التشدد، وهم قريش وكنانة وثقيف، وعرب قريس يزعمون أنهم الوارثون لملة إبراهيم واستغلوا قربهم من البيت الحرام واعطوا لأنفسهم مكانة خاصة ليست لغيرهم منها: عدم الخروج لوقوف بعرفة ويقفون بمزدلفة مع اقرارهم بأن عرفة من الشعائر، وكذا منع الحجيج الطواف بالثياب إلا ثياب الحمس أو ثياب اشتريت أو أهديت.

- **اليهودية:** دخلت اليهودية الى جزيرة العرب والحجاز واليمن ما بين 70 و 132 للميلاد بسبب فرار عدد من اليهود من فلسطين متجهين الى خيبر ويثرب وغيرهما، ولم يكونوا كثرة إلا أن تأثيرهم كان واضحا.

---

[1] من قبائل العرب.

[2] **الغيّ**: هو التعاون على الشر والفساد.

[3] جاء في الحديث الصحيح : أن النَّبِيّ ﷺ قَالَ: "رَأَيْتُ عَمْرَو بْنَ عَامِرِ بْنِ لُحَيٍّ الْخُزَاعِيَّ يَجُرُّ قُصْبَهُ فِي النَّارِ، وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ سَيَّبَ السَّوَائِبَ". وفي لفظ عن ابن إسحاق: "فكان أوّل مَن غيّر دين إبراهيم، ونصب الأوثان". الشرح: يجر قُصْبَهُ: أي أمعاءه. والسوائب جمع سائبة: وهي الإبل التي تسيب فلا تحبس عن مرعى ولا عن ماء ولا يركبها أحد، وكان الرجل ينذر: إن برىء من مرضه، أو قَدِمَ من سفرٍ ليسيبن بعيراً. وهذه من بدع الجاهلية.

[4] من حَنَفَ عن الشيء أي مال، وانحرف وعدل.

[5] روى البخاري عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ قُرَيْشًا كَانَتْ تَصُومُ يَوْمَ عَاشُورَاءَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ثُمَّ أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِصِيَامِهِ حَتَّى فُرِضَ رَمَضَانُ وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ "مَنْ شَاءَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ شَاءَ أَفْطَرَ".

- **النصرانية:** دخلت النصرانية الى جزيرة العرب عن طريق الشام من الشمال والجنوب عن طريق الحبشة، وقد انتشرت في بعض القبائل العربية منها: تغلب وطيء ونجران وغسان..

وهناك معتقدات أخرى تأثر بها بعض العرب كالمجوسية التي يعبد أصحابها النار، والدهرية التي ينكر أصحابها الخالق والبعث..

كما سادت عبادة الملائكة والجن والشمس والقمر والنجوم..

إلا أنه رغم هذا التشتت العقدي فإن القاسم المشترك بين العرب جميعا هو:

تعظيم الكعبة وحرمها، واحترام الأشهر الحُرُم والحج.

3. **الحالة السياسية:** كانت العرب تتبع النظام القبلي القائم على وحدة القبيلة العصبية، التي تجمعها المنافع المتبادلة ودفع العدوان عنها، وكان لسيد القبيلة درجة الملك فهو الآمر الناهي، وله الاستبداد بالرأي في السلم والحرب، لهذا كان المجتمع الجاهلي مجتمعا طبقيا مكونا من سادة وعبيد، ومع كثرة النزاعات والاختلافات العنصرية انتشر الظلم وضياع الحقوق.

أما المهام السياسية التي تشرفت بها قريش عن غيرها فهي:

- دار الندوة: هي مجْمع قريش ومكان تشاورهم واجتماع كلمتهم.
- اللواء: هو الذي يعقد به عند راية الحرب.
- الحجابة: هي حجابة الكعبة أي مفتاحها وخدمتها.
- السقاية: هي سقاية حجاج بيت الله بالماء المحلى بالتمر والزبيب.
- الرفادة: هي كل طعام يصنع للحاج.